كنتُ بسيارتي أجوب أحياء الرياض العتيقة، وأخذتني الذكرى إلى زيارة المعهد العلمي في الرياض (نواة جامعة الإمام) الذي قضيتُ فيه أعذب أيام الدراسة (المتوسط والثانوي)، وحين مررتُ على مبناه وجدُته مؤجَّراً على مدرسةٍ عالمية، لا يَعرف طلّابُها العربيّة، ولا يشبهون الذين درجوا فيه، فثار الحنين، وعُدتُ إلى الوراء زمانا، وتذكرت مشايخي وزملائي الذين ملؤوا الدنيا وشغلوا الناس، فجاءت هذه القصيدة، وأعتذر كل الاعتذار عمّن فاتني ذكر اسمه من مشايخي الأجلّاء، وزملائي الأعزّاء، ولولا خشية الإطالة والإثقال، لذكرتهم جميعا.

مُعَلَّقة الذكريات

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى زمانٍ ومَعهَدِ ... ببطحاءَ غربيّ الطريقِ المعبَّدِ

وفي دربِهِ الأقصَى حراجُ ابنُ قاسمٍ ... وفي غربِهِ سوقُ الحَمامِ المُغَرّدِ

وشرقيُّهُ الكُبْرِيُّ طال امتدادُهُ ... كثعبانِ قَفْرٍ في الثرَى مُتَمَدّدِ

وعن جانبيهِ ساحتانِ أُقِيمَ في ... فَسِيحِهِمَا سُوقٌ وأكبرُ مَسجِدِ

ألا يا زمانَ الوصلِ في معهدِ الصِّبا ... سألتُكَ بالرحمنِ خالقِنا عُدِ

وخَفِّفْ على قلبي قديمَ حَنِينِهِ ... فقَدْ لَجَّ بي دمعي وطالَ تَنَهُّدي

غداةَ لنا في معهدِ الخيرِ معشرٌ نَروحُ عليهمْ بالعلومِ ونغتدي
لنا فيه أشياخٌ كرامٌ كأنهُمْ بقيّةُ أصحابِ النبيّ محمدِ
فمِنْ بينِهِمْ مُفتي الديارِ «محمدٌ»(١) وذاك «ابنُ بازٍ» ذو التُّقَى والتفرُّدِ
و«لابنِ العثيمينِ» الوقورِ مكانةٌ وصاحبِهِ «الفوزانِ» أكرِمْ وأَحمِدِ
ويغدو «الغُدَيّانُ» امْرَأً فاقَ عَصْرَهُ و«لابْنِ الخُلَيْفي»(٢) فيهِ بَوحُ مُغَرِّدِ
و«بَكرٌ أبو زيدٍ» و«سعدُ ابنُ قاسمٍ»(٣) وشيخي«ابنُفتوخٍ»(٤)وشيخي«ابنُمَسْعَدِ»(٥)
وشيخي«المحيذيفُ»(٦)الذي طابَ مورداً وشيخي «ابنُ فَرّاجٍ»(٧) فيا روحيَ اسْعَدي
و«فيصَلُنا الحِجّيُ»(٨) و«ابنُ حُسَينِنا»(٩) و«فهدٌ أخي»(١٠)و«ابنُ المنيفِ»(١١)المُسَوَّدِ
وشيخي «سُليمانُ التويجريَ»(١٢) الذي معاً و«أخوهُ»(١٣) أنهلا قلبيَ الصَّدِي
و«لابنِ العيوني أي سليمانَ»(١٤) مَنهلٌ زلالٌ و«لابنِ الفالحِ»(١٥) المتفرّدِ
و«عبدُالعزيزِ ابنُ الحُرَيشيّ»(١٦) دوحةٌ و«خالدٌ القوسيُّ»(١٧) أنشودةُ الغدِ
ومثلُهُمُ شيخي النبيلُ «مُحَيسنٌ»(١٨) ومثلُهُمُ تاجُ «الحَميديّ»(١٩) فاقتدي
أُفَدّي «الطريقيَّ»(٢٠) المُفَدَّى محمداً وأيضاً أُفَدّي «ابْنَ الكُلَيَّةِ»(٢١) مُسعِدي
سلامي لمحبوبي «العليويّ يوسُفٍ»(٢٢) وودي لـ«عبدِالمحسنِ العَسْكَرِ»(٢٣)النَّدي
وشيخُ المعاني «خالدُ ابنُ سَلامةٍ»(٢٤) و «صالحُ مِن آلِ السويلمِ»(٢٥) مُسنَدي
ونِعمَ الفتى «زيدُ الكليبُ»(٢٦) إمامُنا وما «حَمَدُ النَّفْجَانُ»(٢٧) غيرَ مُسَدَّدِ
وما «عُمَرُ العبدُالكريمِ»(٢٨) سوَى امرئٍ نبيلٍ كمِثلِ «الراشدِ»(٢٩) الشهمِ مُرشِدي
وأما رفاقي الدارسونَ فمَعشرٌ كرامٌ فِداهُمْ كلُّ ما مَلَكَتْ يدي
كصاحبيَ الوافي «المهنا محمدٍ»(٣٠) وأيضاً أخوهُ «خالدٌ»(٣١) خيرُ مُنْجِدِ
و«فوازٌ اللُّعبُونُ» شاعرُ موطني وتوأمُ روحي مِن بداياتِ مَولدي
وأحبابُقلبي«طالبٌ»(٣٢)و«ابنُطالبٍ»(٣٣) هما اثنانِ فاقَا في مَعَالٍ وسُؤدَدِ
و«لابنِ البُعَيجانِ»(٣٤) المَحامِدُ تنتهي و«لابنِ الفُرَيّانِ»(٣٥) المكارمُ تهتدي
و«لِلعَرِيّ»(٣٦) الفَذِّ شوقي أَبُثُّهُ ولا أَكْتُمُ الأشواقَ عن عَهْدِ «مُقْعِدِ»(٣٧)

وأما «عليُّ ابنُ الخضيريّ»(٣٨) فامرؤٌ ... نبيلُ السجايا مثلُ خِلّي «ابنِ مَعْبَدِ»(٣٩)

كثيرونَ لا أُحصِيهمُ غيرَ أنني ... أفاخِرُ فيهمْ في غيابٍ ومَشهَدِ

لنا معهدٌ فيه المعالي جميعُها ... وفيه ومنه كلُّ حَبْرٍ ومُقتدي

وفيهِ تَسَامَى للعُلا كلُّ طالبٍ ... يرومُ إلى التعليمِ أعذَبَ مَوردِ

وها هُمْ شموسٌ في سماءِ بِلادِنا ... فمِنْ عالِمٍ أو شاعرٍ أو مُجَدِّدِ

وكم من وزيرٍ أو سفيرٍ وضابطٍ ... يَصُدُّ عن الأوطانِ عُدوانَ مُعتدي

تذكرتُ هذا كلَّهُ فأتيتُهُ ... لأبعَثَ ذكرَى الغابرِ المتجدّدِ

فلما تراءى لي رأيتُ بِنايةً ... جديدةَ ألوانٍ كثيرةَ مَحْشَدِ

بها معشرٌ أعجامُ قولٍ تناثروا ... حواليهِ أكواماً كقُطنِ المُنَجّدِ

فساءلتُهُ مَن أنتمُ فأجابني ... مُسِنٌّ على عُكّازِهِ غيرُ مُسْعَدِ

وقالَ: لقد أمسَى المكانُ كما ترى ... لِعُجْمٍ وقِدْماً كان أعرقَ مَعْهَدِ

وكانتْ دموعُ العينِ منهُ غزيرةً ... وآهاتُهُ كالعابدِ المتَهَجّدِ

فقلتُ لهُ: يا عَمُّ لا تَبْكِ إنني ... أكادُ أَسُحُّ الدمعَ لولا تجلُّدي

فبِتْنا كلانا نشتكي طولَ شوقِنا ... ونشرَبُ مِن ماءِ الحياةِ المُنَكَّدِ

إلى أن تفرَّقْنا ودمعُ عُيونِنا ... يشي بحنينٍ عارمٍ وتَوَجُّدِ

رَعَىٰ اللهُ أزمانَ البراءةِ والتُّقَى ... لياليَ كنا في نعيمٍ وفي دَدِ

لنا في حنايانا قلوبٌ طهورةٌ ... نسيرُ على نَهجِ التقاةِ ونقتدي

فرحماكَ يا ربي على مَن تَرَحَّلوا ... ومُنَّ عليهمْ بالنعيمِ المُخَلَّدِ

وأكرِمْ أَحِبّاءً نَصُونُ عُهودَهُمْ ... شَرِباً معاً من نبعِ طُهرٍ مُوَرَّدِ

تُبَاعِدُنا الدنيا ولكنْ قلوبُنا ... قريباتُ عهدٍ حُبُّها لم يُبَدَّدِ

عليكَ سلامُ اللهِ يا معهَدَ العُلا ... ولا زِلْتَ فينا خالدَ الأمسِ والغَدِ

عبدالله بن محمد المقحم (أبو ثابت) – ٣/ رجب/ ١٤٤٠هـ

الحواشي:

(١) الشيخ العلامة مفتي البلاد محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.
(٢) الشيخ عبدالله الخليفي إمام الحرم رحمه الله.
(٣) الشيخ سعد بن عبدالرحمن ابن قاسم.
(٤) شيخ النحويين عبدالعزيز الفنتوخ.
(٥) الشيخ محمد المسعد عالم في اللغة.
(٦) الشيخ المربي إبراهيم المحيذيف.
(٧) الشيخ الفقيه الأديب محمد بن أحمد الفراج.
(٨) الشاعر المعروف فيصل بن محمد الحجي رحمه الله.
(٩) شيخ الأدباء والنقاد أ. د. محمد بن سعد ابن حسين.
(١٠) الشيخ المربي اللغوي فهد بن محمد المقحم.
(١١) الشيخ المربي الحافظ عبدالله بن محمد المنيف.
(١٢) الشيخ سليمان بن عبدالرحمن التويجري مدير المعهد.
(١٣) الشيخ الجليل المسنِد عبدالله بن عبدالرحمن التويجري.
(١٤) أ. د. سليمان بن عبدالعزيز العيوني أستاذ النحو والصرف.
(١٥) د. محمد بن عبدالله الفالح أستاذ التفسير.
(١٦) الشاعر الأديب عبدالعزيز بن إبراهيم الحريشي.
(١٧) الشاعر اللغوي د. خالد بن سليمان القوسي.
(١٨) أستاذ العلوم الشرعية محيسن المحيسن رحمه الله.
(١٩) الشيخ عبدالرحمن الحَمِيدي وكيل المعهد وأستاذ العلوم الشرعية.
(٢٠) الشيخ محمد بن حمد الطريقي أستاذ العلوم الشرعية.
(٢١) الشيخ د. محمد الكُلَيَّة وكيل المعهد وأستاذ اللغة والعلوم الشرعية.
(٢٢) الشيخ أ. د. يوسف بن عبدالله العليوي أستاذ البلاغة والنقد.
(٢٣) الشيخ المتفنن أ. د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر أستاذ البلاغة والنقد.
(٢٤) الشيخ المربي خالد بن صالح السلامة أستاذ العلوم الشرعية.
(٢٥) الشيخ الفقيه صالح السويلم أستاذ العلوم الشرعية.
(٢٦) الشيخ زيد الكليب أستاذ العلوم الشرعية.
(٢٧) الشيخ حمد النفجان وكيل المعهد وأستاذ العلوم الشرعية.
(٢٨) الشيخ عمر بن عبدالله العبدالكريم أستاذ اللغة العربية.
(٢٩) الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الراشد أستاذ العلوم الشرعية.
(٣٠) الشيخ محمد بن سليمان المهنا إمام جامع الملك خالد.
(٣١) الشيخ د. خالد بن سليمان المهنا أستاذ السنة وإمام المسجد النبوي.
(٣٢) الشيخ طالب بن عبدالله آل طالب قاضٍ سابق وشاعر.
(٣٣) الشيخ ناصر بن محمد آل طالب قاضي الاستئناف.
(٣٤) الشيخ د. عبدالله البعيجان إمام المسجد النبوي، وأخوه الشيخ القاضي د. محمد البعيجان.
(٣٥) الشيخ د. ماجد بن عبدالرحمن الفريان أستاذ الفقه، ومن أسرته الكرام الذين زاملوني الشيخ هشام بن عبدالرحمن الفريان، والمحامي أحمد بن عبدالرحمن الفريان، والشيخ عبدالله بن سعد الفريان.
(٣٦) الأديب الأريب علي بن محمد العربي أستاذ الأدب العربي.
(٣٧) الشاعر الأديب مقعد بن عبيد السعدي البيشي.
(٣٨) الشيخ د. علي بن عبدالعزيز الخضيري أستاذ العلوم الشرعية، وأخوه أحمد الضابط في وزارة الدفاع.
(٣٩) الشيخ د. محمد بن أحمد معبد الباحث الشرعي في مشيخة الأزهر.